المديح النبوي في شعر محمد بن المبروك البودوي

يونس محمد، طالب دكتوراه /قسم اللغة والأدب العربي بجامعة أدرار
- البريد الإلكتروني: anesyounes.m@gmail.com

تاريخ الإرسال:2018/09/26	تاريخ القبول:2018/10/04	تاريخ النشر:2018/12/26

الملخّص:

المقال الذي بين يديك يعالج موضوع المديح النبوي(مفاهيمه ، أنماطه التعبيرية ، مواضيعه) في الشّعر الجزائري وبالتحديد في منطقة توات الكبرى ،نزولاً عند قصائد مدحيّة للشاعر التواتي "محمد بن المبروك البُودَوِي"، لِنُعرّف به وبشعره في مدح المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، ولنقف من خلاله على مضامين موضوع المديح النبوي في منطقة توات.

الكلمات المفتاحية:

المديح النبوي ؛ الشعر الجزائري ؛ منطقة توات الكبرى ؛ الشاعر محمد بن المبروك البودوي.

Abstract:

The article that between your hands treat the subject of prophetical praise his (difinations,ways,thames)in algerien poem for precisely in bigget region of towat . Among twatien Mohamad ibenelmabroukelbosawitowati by to k now his and your poem in prised the prophet Mohamad salaallahoallaihi ,In many the subject mains of prophetical praise in region towat .

Key words : Propheticol praise ; the Algerian poem ; the biggest region of towat ; the poet Mohammed Iben elmabrouk Elboudawi.

مقدّمة:

ممّا لا شكّ فيه أنّ الأدب بفنونه المتعدّدة يعبّر بشكل كبير عن واقع المجتمعات وقضاياها ، ولذلك كان النّص الأدبي على تعدّد مواضيعه ،نثرا كان أو شعرا فضاءً يستهوي القرّاء والمبدعين معاً على تعدّد فئاتهم العمرية ومستوياتهم المعرفية.

ويعتبر غرض المديح بصفة عامة والمديح النبوي بصفة خاصة ، من المواضيع التي أقبل عليها الشعراء إقبالاً كبيرا على مرِّ العصور، وقد تعدّدت في ذلك أغراضه ودوافعه[1]، ولسنا هنا لتتبع المسار التاريخي لغرض المديح ، وإنّما هي إطلالة منّا خفيفة على شعر المديح النبوي في الشعر الجزائري، وبالتحديد منطقة توات الكبرى ، وبالضبط عند شخصية لها وزنها في الساحة الأدبية ، والمتمثلة في شخص الشاعر "محمد بن المبروك البودوي، هذا على اعتبار أنّ "الشعراء على اختلافهم وعلى ما يجمعهم من أطر ونظم موحّدة خاصة بالإبداع الشعري ، نجد لكلٍ منهم أسلوبه الخاص الذي يميّزه عن غيره من الشعراء"[2]، ولذلك سنحاول في هذه الوقفة أن نقيم ومضة تعريفة بسيطة حول غرض المديح النبوي ، كما نعرّف كذلك بشاعرنا "محمد بن المبروك البودوي" لنختتم جولتنا بإعطاء صورة واضحة المعالم حول غرض المديح النبوي في شعر الشاعر " محمد بن المبروك البودوي" ، **فمن يكون هذا الأخير ، وماهي أبرز الخصائص الفنية في نظم المديح النبوي عنده؟.**

[1]: ينظر: الشعر الدِّيني الجزائري الحديث ، عبد الله الركيبي ، الشعر الصوفي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، الجزائر ، د.ط ، 2009 م ، ج 1، ص 49.

[2]: ينظر: التعبير الشعري في المديح النبوي عند العطار النيسابوري،(إضاءات نقدية) ،عبد الحميد أحمدي، مجلة علمية فصلية محكمة، العدد12، 2012م، ص09.

المبحث الأول: التعريف بالمديح النبوي(لغة واصطلاحاً) وبشخصية محمد بن المبروك البودوي

المطلب الأول: مفهوم المديح النبوي

لقد عُرِّفَ المديح **لغة** على أنّه"نقيض الهجاء وهو حسن الثناء، يقال مدحتُهُ مِدْحَةً واحدة، ومَدَحَهُ يمدَحُهُ مدحاً ومِدحَةً، هذا قول بعضهم ، والصحيح أنّ المدحَ المصدرَ والمِدحَةَ الإسم ، والجمع مِدَحٌ، وهو المديحُ والجمع المدائحُ والأماديحُ"[1]، وهو " ذكر لشمائل ومناقب الممدوح فنقول : مدحَهُ مدحاً: أثنى عليه بما له من الصفات"[2]، وهو يعني كذلك " وصف الممدوح بأخلاق يمدح عليها، ويكون نعتاً حميداً ، وهذا يصحُّ من المولى تعالى في حقّ نبيّه محمد صلّى الله عليه وسلم"[3] قال تعالى: < وإنّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ>[4].

أمّا اصطلاحاً:

فهو ذاك الشّعر الذي تعلّق بمدح شخص المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ،وقد عرّفه –زكي مبارك– على أنّه" فنٌ من فنون الشعر التي أذاعها التصوف ، فهو لون من التعبير عن العواطف الدينية ، وباب من الأدب الرفيع ؛ لأنه لا يصدر إلّا عن قلوب مفعمة بالصّدق والإخلاص"[5].

وقد عُرّفَ المديح النبوي على أنّه " قسمٌ من المديح العام الذي عُرِف في أدبنا العربي ولكنّه انفرد عنه، لأنّه مخصص لسيّد المرسلين ، ولأنّ الممدوح يفترق عن عامة النّاس ولأن كل ما يرد في المدحة النبوية يلتزم نهجاً خاصاً في التأدب

---

[1]: لسان العرب، ابن منظور ، دار صادر ،دط، دت، مادة(م. د. ح) ج02/ 589.

[2]: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية،مصر، ط4، 1425هـ – 2004م،مادة (م.د.ح)، ص875.

[3]: المستطرف في كل فنٍ مستظرفٍ ، شهاب الدين محمد بن أحمد الإبشيهي ، تحقيق : إبراهيم صالح ، دار صادر، بيروت ، ط1 ، 1420 هـ – 1999 م ، ج2 / 93.

[4]: سورة القلم ، الآية (01)

[5]: المدائح النبوية في الأدب العربي ، زكي مبارك ، منشوارت المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ط1 ، 1354 هـ –1935 م ، ص 17.

والسمو لا نبده في المدائح الأخرى"[1]، ولا عجب إن ارتبطت عظمة المدح بذات النبي صلى الله عليه وسلّم ،لأنَّ الممدوح هنا هو خير من وطأت قدماه الثرى،" فرسول الله صلّى الله عليه وسلّم صاحب الدّين والمثل الإنساني الأعلى ، وهو من أعظم شخصيات التاريخ ، فكان لابد للأدب من أن يشيد بشمائله ومناقبه ، ويقدِّم للناس فيضاً من خصائص الإنسان الكامل ليقتدوا بها وتصفوا نفوسهم بتملِّيها"[2]

وللّه درُّ "البوصيري" حين قال مدلّلاً على قيمة مدحه صلّى الله عليه وسلّم[3]:

بِمَدْحِ المُصْطَفَى تَحْيَا الْقُلُوبُ
وَتُغْتَفَرُ الخَطَايَا وَالذُّنُوبُ

إلى قوله:

يُفَرّجُ ذِكْرُهُ الكُرُبَاتِ عَنّا
إِذَا نَزَلَتْ بِسَاحَتِنَا الكُرُوبُ
مَدَائِحُهُ تَزِيْدُ القَلْبَ شَوْقَاً
إِلَيْهِ كَأَنَّهَا حُلِيٌّ وَطِيْبُ

وممّا لا يختلف فيه اثنان أنّ عظمة شخصية المصطفى صلّى الله عليه وسلّم كان لها أثرها البالغ في ظهور وتطور شعر المديح عبر العصور ، منذ ظهور الإسلام إلى يومنا هذا، إذ نجد الشعراء يتنافسون ويبدعون ويتفنون في الأنماط التعبيرية والأساليب التي ينظمون بها قصائدهم حول مدحه صلّى الله عليه وسلّم ، والواقف على واقع شعر المديح النبوي في إقليم توات سيجد العجب العجاب، خاصة عند شعراء المنطقة المتقدمين...

[1]: المدائح النبوية ، محمود سالم ، ص 57 .

[2]: ينظر: المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي ، محمود سالم محمد ، دار الفكر ، دمشق ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط1 ، 1417 هـ – 1996 م ، ص12.

[3]: الديوان ، للإمام البوصيري رحمة الله عليه ، ص 15/14 .

ويعتبر شعر المدائح النبوية بأوسع معانيه الدينية من أقدم الأغراض الشعرية في الجزائر[1] بصفة عامة وفي منطقة توات بصفة خاصة، فقد أكثر العديد من شعراء المنطقة على النظم فيه ، فكانت قصائدهم في أغلبها حباً للرسول الكريم وشوقاً لزيارة قبره المبارك ورجاءً في شفاعته يوم القيامة، ومن زمرة هؤلاء الشعراء نذكر: محمد بن أبَّ المزمّري (ت.116هـ)[2]، وأبنه سيدي ضيف الله (ت.12هـ)[3]، وسيدي محمد الإدا وعلي(ت.12هـ)[4] ، وسيدي محمد بن المبروك البودوي (ت.1195هـ).

وتجدر الإشارة إلى أن المجتع التواتي منذ القدم وهو مجتمع يهتم بالمدح النبوي ، فكل من دقّ باب المعرفة أو هداه فكره إلى الإبداع لجأ إلى الشعر يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم ويجعل منه متنفساً له ، ودأب على هذه الطريقة الشعراء المحدثون والمعاصرون ، ومن بينهم على سبيل المثال لا الحصر ، الشاعر عبد المالك مسعود ، والشاعر ساعد بوجمعة، والشاعرة آمنة حامدي، والشاعر عبد القادر عبيد...[5] ، وقد أخترنا من زمرة هؤلاء الشعراء التواتيين أن تكون وقفتنا مع أحد الشعراء المتقدمين وهو سيدي محمد بن المبروك البودوي التواتي.

[1]: ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي ، أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1998، ج2، ص 245.

[2]: توات والأزواد، محمد الصالح حوتية ، دار الكتاب العربي ، القبة ، الجزائر ، 2007م ، ج1، ص 277/ 278.

[3]: ينظر: توات والأزواد ، المرجع نفسه ، ج1، ص 277.

[4]: ينظر: الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن 7هـ حتى نهاية القرن 13 هـ ، أحمد أبا الصافي جعفري ، مرجع سابق ، ط1 ، ص170.

[5]: البنية اللغوية في شعر محمد بن المبروك البودوي التواتي، مذكرة لنيل درجة الماجستير في تخصص الدراسات اللغوية ، إعداد: بشير بهادي ، إشراف: د.محمد رتيمة ، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2014م/2015م ، ص 19.

المطلب الثاني: التعريف بالشيخ "سيدي محمد بن المبروك البودوي

1/نسبه:

هو "محمد ابن المبروك ابن سيد أحمد (مُولْ) أبو سْبَعْ حجّات[1]، محمد بن عبد الله محمد دين الله بن علي بن راشد بن موسى بن علي بن إسماعيل بن إدريس بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه"[2].

2/مولده:

ولد سنة 1080هـ، وعاش في قصر والده وجدّه سيدي أحمد الملقّب بـ: أبو سبع حجّات، بزاوية سيدي حيدة من قصور مقاطعة بودة، بولاية أدرار حالياً، بالجنوب الغربي من الجزائر[3].

3/تعلُّمه:

يعتبر من كبار علماء وشعراء توات ، فقد عرف بغزارة علمه وزهده وامتاز بالفصاحة والبلاغة فكان من عباقرة توات[4] ، ويقول عنه صاحب (الدرّة الفاخرة) عبد الرحمان بن بَعُومر التنلاني شاهدا على مكانته العلية:< كان رحمه الله عالماً ورعاً زاهداً، وأحد الحفّاظ ، عن سيدي محمد الونقالي وعن الشيخ سيدي اعْمَرْ بن عبد القادر، وعن الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عُمرالتنلاني فصار عن علو محله في العلم والأدب مع جلالة قدره في المحاسن وتفرده في الغايات في المدح ولولا مخافة الإطالة لأوردت من خيره طرفاً كبيراً وليس الخبر كالعيان >[5].

---

[1]: هي كنية كنّي بها جده سيد أحمد محمد ، لزيارته بيت الله المحرم سبع مرات لورعه وشوقه لطيبة من جهة ، ولتحمله أعباء الحج من أموال يشد بها مصاريف راحلته وصبره على تحمل تعب السفر من جهة أخرى فلقّب كذلك.

[2]: الشعر الشعبي الديني في منطقة توات ، د.سرقمة عاشور ، دار الغرب ، وهران ، 2008م ، ص 85.

[3]: ديوان سيدي محمد بن المبروك البُودَوي التواتي، جمع وتحقيق:د.سرقمة عاشور، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص6.

[4]: ينظر: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات ، الشيخ محمد باي بلعالم ، 2005م، ج1 ، ص 122.

[5]: الدرّة الفاخرة في ذكر المشائخ التواتية ، عبد الرحمان بن بعومرالتنلاني، مخطوط بمكتبة ابن الوليد قصر باعبد الله ادرار، ورقة 13.

وقد كان لهؤلاء العلماء الفضل الكبير في صناعة شخصية الشيخ سيدي محمد بن المبروك البودوي، إذ نهل من علومهم وتخلّق بأخلاقهم.

كما أنّ هناك ثلة من العلماء قد عاصرهم شيخنا خلال القرن 11هـ- وهو القرن الذهبي في الحياة العلمية التواتية[1]- منهم: الولي الصالح "مولاي عبد المالك الرقاني"، والشيخ "سيدي محمد الإيداواعلي"، و "سيدي محمد بن أبَّ المزمّري"، وأيضا "سيدي البكري بن عبد الكريم التمنطيطي... وغيرهم كثير.

4/وفاته:

لقد اختلفت الروايات في تحديد تاريخ وفاته ، فقيل أنّه توفي سنة 1195هـ[2]، في القرن 12هـ ، ومنهم من يقول بأنّه توفي في 1196هـ[3]، ولكن أغلب الروايات تشير للأول ، عن عمر يناهز قرن و خمسة عشر سنة، وقد دفن في القبر الذي حفره بيديه ويلمس هذا من قوله في قصيدة (ألا يا قومنا) التي مطلعها[4]:

ألا يا قومنا قَدْ بِتُّ أمْسِ * أكابدُ في سواد اللّيل رَمسِي**
هو المِعْراضُ للإنسان مهما * يَمُتْ يُلقى بسجنٍ أيِّ حَبْسِ**

إلى قوله:

فذكَّرَني بما أمضي إليه * وبالجُرم الذي جَرمته نفسي**

هذا وقد حضر دفنه الآلاف من المشيعين الذين كان الشيخ يحتل مكانة كبيرة في قلوبهم، فلقد ملأ الدنيا وشغل النّاس بعلمه وأخلاقه . وقد رثاه الشاعر الحسن بن بوزيد بقصيدة يقول فيها[5]:

---

[1]: ينظر: ديوان سيدي محمد بن المبروك البُودَوي التواتي، جمع وتحقيق:د.سرقمة عاشور، مرجع سابق ، ص08.

[2]: ينظر: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات ، الشيخ محمد باي بلعالم، مرجع سابق ، ص 128.

[3]: الذرّة الفاخرة في ذكر المشائخ التواتية ، عبد الرحمان بن بعومرالتنلاني ، مرجع سابق ، ص 15.

[4]: محمد بن المبروك البدوي التواتي ، الديوان ، تحقيق: عاشور سرقمة ، مرجع سابق ، ص 37.

[5]: ينظر: الشعر الشعبي الديني في منطقة توات ، د.سرقمة عاشور ، مرجع سابق ، ص 88.

قد حَكَمَ الله بأمرٍ فُرِض ** ولا معقّبَ لحُكمِهِ مضَا
حقّ عليَّ حمدُهُ لكن أَرى ** دمعَ الورَا من أجلِهِ قد نبَضَا
وأَظْلَمَتْ منه عليْنَا أَرضنَا ** وفوقَنَا رعدٌ وبرقٌ ومضَا
يومَ أتى الضريحُ بنـا ** ألا فإنَّ حبْرَ بودةَ قضَا
وكلٌ قائِلٌ يقولُ مُعلِنـا ** يا أَسَفا على ابن مبروكٍ الرضَا

وتعتبر هذه القصيدة شهادة أخرى تؤكد سمو قدر ومكانة العلامة والشيخ والشاعر محمد بن المبروك البودوي في منطقة توات قاطبة ، ولولا ضيق المقام لتوسعنا شيئاً ما في هذا المجال. "أمّا الطريقة الصوفية التي كان شيخنا يسير على نهجها فهي الطريقة القادرية، وهي طريقة عائلته الجعفرية، ومشائخه الذين ذكر أسماءهم ضمن ما تسمى محليا بـ(السّلْسْلَة)[1].

5/-آثـاره:

لقد كان الشيخ سيدي محمد بن المبروك البودوي من الذين ساهموا بشكل كبير في ازدهار وتطور الحركة الأدبية في منطقة توات ، حتى غدا عصره القرن (11هـ) بفضل جهوده وجهود من عاصروه ، عصراً ذهبيا في تاريخ الحركة الأدبية في المنطقة ، ولقد خلّف لنا الشيخ العديد من الكتب في المسائل الفقهية والأنساب- على حد قول أحد أحفاد الشيخ[2]- ولكن للأسف قد ضاعت كلها ولم يعثر على أيٍ منها. كما ترك الشيخ كذلك ديوانين شعريين ، أحدهما فصيح والآخر شعبي (ملحون).ولعلّ أوّل قصيدة أبدعها الشاعر هي قصيدة "صلَواتُ الإلَهِ تَتْرَى" ومطلعها:

صلَواتُ الإلَهِ تَتْرَى عَلَى مَنِ ** اِسْمُهُ أَحْمَدُ الَبشِيْرُ النَّذِيْرُ
وَسَلَامٌ مَا هَبَّتِ الرِّيحُ لَيْلاً ** وَنَهَاراً وَمَا يَفُوحُ عَبِيْرُ[3]

[1]: ينظر: المرجع نفسه ، ص100 وما بعدها.
[2]: ينظر : محمد بن المبروك البدوي التواتي ، الديوان ، تحقيق: عاشور سرقمة ، مرجع سابق ، ص 09.
[3]: المرجع نفسه ، ص 10/9.

المبحث الثاني: المديح النبوي في شعر محمد بن المبروك البودوي التواتي

يعتبر محمد بن المبروك البودوي من رواد المديح النبوي في منطقة توات ، على اعتبار أنَّ جلّ ما نظمه كان في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلّم ، سواءً كان شعراً فصيحا أو ملحوناً ، وقد جمعت هذه القصائد في ديوان شعري وحقّقت بفضل جهود الباحث "عاشور سرقمة"، وهو أحد المهتمين بتراث المنطقة، وقد ضمّ الديوان (37 قصيدة) منها 22 قصيدة فصيحة و15 قصيدة ملحونة[1] ،ولقد تميزّ شعر الشاعر برصانة ألفاظه وقوّة معانيه وبلاغة تراكيبه وبراعة تصويره ، إذ أنّه يجذب القارئ له ويسلبُّ لبَّه ، كما أنَّ تراكيبه حبلى بالمعارف والفوائد، التي من شأنّها أنّ تنوّر العقول وتصحّح الأفكار المنحرفة والمفاهيم الخاطئة...هذا على غرار أنّ قصائده تساهم في تعظيم محبته صلّى الله عليه وسلم في قلوب النّاس...

ومن زمرة قصائده الفصيحة نجد قصيدته (ذِكرُ الخُرُودِ) من بحر المتقارب،والتي استهلّها بقوله:

هَجَرْتُ تَغُزُّل ذِكْرِ (الخُرُود)[2] * وَمَدْحِيْ لِذِكْرِ النّبي يَعُودْ**

كَتَبْتُ رُسَيْمَ طـلَاق الغِنَـا * بِتَسْجِيْلِ قَاضٍ ووضعِ شُهُودْ[3]**

نلاحظ أن مطلع القصيدة فيها دلالة واضحة على تعلّق الشاعر بالنظم في مدح المصطفى صلّى عليه وسلّم، فهو يرى فيه البركة والسعادة والنجاة في الدنيا والآخرة فيقول في نفس القصيدة:

لكِي يستحِيلَ جَزَاءُ الذي * جَنِيْتُ من أَجلِ تَعَدِّ الحُدودْ[4]**

إلى قوله:

---

[1]: ينظر: البنية اللغوية في شعر محمد بن المبروك البودوي التواتي، مذكرة لنيل درجة الماجستير في تخصص الدراسات اللغوية ، إعداد: بشير بهادي ، إشراف: د.محمد رتيمة ، مرجع سابق ، ص 26.

[2]: المرأة الحيية والبكر لم تمس.

[3]: محمد بن المبروك البودوي التواتي ، الديوان ، تحقيق: عاشور سرقمة ، مرجع سابق ، ص 29.

[4]: المرجع نفسه ، ص 29.

ويَرفقُ بِي مَلَكُ الموتِ إنْ * أتَانِي يُعالِجُهَا للصُعُودْ**
ضَرِيْحِي إذَا مـا حَللتُ بـهِ * وَجَدتُ ضَيَاءً وخير لُحود**
وعِندَ السؤَالِ إذَا مـا أَتَـى * يُخَاطِبُ بالوعْدِ لا بالوعِيدْ[1]**

وفي بعض قصائد الشاعر نجده يعمد للمقدمة الغزلية في مستهل القصيدة ليتخذ منها بأسلوب بديع مطيَّة يَعْبُرُ بها لعالم الوعظ والنصح أولاً، ثم إلى عالم محبة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ثانياً ، ومن ذلك قوله في قصيدة (قَصَدتُ سُلَيمَى لِمَنزِلِهَا):

قَصَـدتُ سُلَيمَى لِمَنزِلِـهَا * وجَدتُ بِهِ قومَها مُنكرينْ**
يصِيحُونَ وهيَ (مُسَجَّيَة)[2] * ظنَنت بذَلِك كلَّ الظُّنُونَ**
جعَلتُ أَصِيحُ صَيَاحـهُمُ * لأعرفَ ما للبُكا من شؤون**

إلى قوله:

فزاد بُكـــائِيَ مـن فقدهـا * غَشاني منَ الوجْدِ لَمْسُ جُنُون**
ظَلَلتُ صريعاً شبِيهاً بِها * فلا أستطيعنَّ رفعَ جُفُونْ**

لا شكَّ أن القارئ الواقف على هذه الأبيات سيظنُّ أنّ الشاعر "محمد بن المبروك الودوي قلبه متعلّق بـ"سليمى"، ولكن الشاعر يريد غير ذلك، إذن أنّه يريد أن يدلَّنا على من هو أحقُّ بالمحبّة، ولذلك بعد هذه الأبيات يقف وقفة وعظٍ وتوجيه ليتقمّص فيها بنفسه شخصية الموعوظ، فيقول:

فوعَّظهم حِبرُهُم وبَكـوا * فما دفَنوها إلى بعد حِين**
فبَاءوا إليَّ وهُم خُشَّعٌ * لِوَعظِ نقيبِهِمُ يَسمعون**
فقال أيا صاحِ قُمْ راجعاً * لمن أمرُهُ بين كافٍ ونون**
لو ابْصَرتَ لُهبانَ نــارِ لظَى * لمَا نَظَرتْ في النّساءِ عُيُون[3]**

---

[1]: المرجع نفسه ، ص 29.

[2]: "سَجَّى الميّتَ تسجيَةً: أي مدَّ عليه ثوباً". مختار الصحاح ، ص 288.

[3]: محمد بن المبروك البودوي التواتي ، الديوان ، تحقيق: عاشور سرقمة ، مرجع سابق ، ص 32.

إلى قوله:

فإن كنتَ في هذه غَافلاً * فأنتَ (صلُودٌ)[1] لئيم لحون**

تنبَّهتُ من سكرتي قائلاً * لهُ يرحمِ الله عبداً يعين**

على طاعــة الله يرشِدنــا * و(يَفْصِدُ)[2] عن كلِّ داءٍ دفين[3]**

وبعد هذا يكشف الشاعر عن حقيقة قصده في عالم الحب ويدلنا على محبوب قلبه، فيقول:

فقال أُخَيَّ عليك إذا * أَرَدْتَ النجَاةَ بِنَهجِ الأمين**

حَبِيبُ الإلَهِ ونُخبَتُهُ * ورحمتهُ خاتَمُ المرسلين[4]**

ثم يستفيض الشاعر" محمد بن المبروك البودوي" بعد هذا في تعداد خصال ومعجزات المصطفى صلّى الله عليه وسلم ، على غرار اعترافه بعجزه وتقصيره في مدح النبي عليه الصلاة والسلام، فيقول:

ذكرتُ قليلاً من المعجزات * ولَم أَصِلَنْ لمَدَى المُكثرين**

لِعِلْمِيَ أنِّي لستُ أَفِيْ بها * في حياتي ولو بَعدَ حِين[5]**

إلى قوله:

ولَستُ أُبَالي بِذَنبٍ فَقَدْ * تمسَّكَ قلبِي بحبْلٍ متِين**

صلاتك ربّي على المصطفى * وءالِهِ والصَّحبِ والتّابعين[6]**

ومن خلال اطلاعنا على قصائد الديون لاحظنا أن الشاعر يعمد كثيرا لنظم القصائد على الأسلوب الذي نظم به هذه القصيدة، فنجده يستهلُّ القصيدة بمقدمة غزلية ويجعل منها ميداناً للضياع في عالم الحب ، ثم بطريقة بديعة يصعد بالقارئ إلى قارب الوعظ ويقطع به بحر المعرفة الصحيحة، لينزل به بعدها

[1]: صلودٌ: رجلٌ صَلْدٌ وصَلُودٌ وأَصلَدْ: بخيل جداً .

[2]: يفصِدُ: الفصد قطع العروق ، وافتصد فلان إذا قطع عرقه ففصد.

[3]: المرجع نفسه ، ص 34.

[4]: المرجع نفسه ، ص 34.

[5]: المرجع نفسه ، ص 36.

[6]: المرجع نفسه، 36.

إلى موطن الهداية والصلاح والفلاح في حضرة نهج المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، ومن جملة تلك القصائد الفصيحة نذكر داليته الرائعة (بَانَ الشِّيبُ في جَسَدي) والتي مطلعها قوله:

بانت سُعادُ وبانَ الشِّيبُ في جسدي * وأَضرمَتْ جُذوَةُ الجحيمِ في كبِدِي**[1]

وكذلك في قصيدته (عَدِمتَ لَيْلَى) التي مطلعها:

عَدِمتَ ليلى وقلبُكَ احْتَرَقَا * من أجلِ فُرقَتِها وما سَبَقا**[2]

وتعتبر قضية تقارب الحروف وتكرار الألفاظ والتراكيب في النص الواحد من بين أهم ما يميز أسلوب الشاعر "محمد بن المبروك البودوي"، إذ أنّه عمد إليها ووظّفها توظيفاً حسناً أضفى على نظمه جمالية ولمسة فنية خاصة ، ونلمس ذلك في رائيته (يا وِيحَ مَنْ تَبِعَ الهَوَى) إذ يقول[3]:

صلَّى عليه الله جلَّ جلالهُ * ما دارتِ الأفلاكُ بالأقدارِ**
صلَّى عليه الله جلَّ جلالهُ * ما جوَّد القرآنَ صوتُ القاري**
صلَّى عليه الله جلَّ جلالهُ * ما سارَ ركبٌ راكبَ الأكوارِ.**

وقد نظمت في القصيدة حوالي 28 بيتاً على هذه الشاكلة ، ليختمها في الأخير بطريقة مختلفة بالصلاة على المصطفى الأمين كعادته ، كما ابتدأها بطريقة مختلفة، إذ يقول:

صلَّى عليه الله جـلَّ جلالــهُ * عدَدَ المَقيلِ وعدَدَ الأقطارِ**
يا ربّ صلِّ على النبيّ محمدٍ * أصلُ الوجود ومعدنُ الأسرارِ**
وعلى جمـاعة آلــهِ وصحابـــهِ * ما فاحَ في البستانِ زَهرُ بَهَارِ**[4]

[1]: محمد بن المبروك البودوي التواتي ، الديوان ، تحقيق: عاشور سرقمة ، مرجع سابق ، ص 40.
[2]: المرجع نفسه ، ص 48.
[3]: المرجع نفسه ، ص57.
[4]: المرجع نفسه ، ص 59.

وتظهر مُكنَة وبراعة الشاعر وجمالية أسلوب التكرار أكثر في بائيته الرائعة (ألا صلُّوا على الهادي)،إذ يقول:

ألا صلُّوا على الهادي تنَالوا * ثواباً في ثوابٍ في ثواب**
فمَن صلّى عليه يذادُ عنــهُ * عذاباً في عذاب في عذاب[1]**

وقد نظمت القصيدة ذات(26 بيتاً) كلّها على هذه الشاكلة،عدا البيت الختامي إذ ختمت بالصلاة على المصطفى عليه الصلاة والسلام،وهو منهج يعتمده الشاعر في كل قصائده تقريباً، إذ يقول:

فأعرَضَ عن مخائِلها رآهــا * سِراباً في سرابٍ في سِراب**
ومِنْ يُمنَاهُ جَاشَ المَاءُ يَحْكِي * عُبَاباً في عُبَابٍ في عُباب**
صلاةُ اللهِ عليكَ يــا محمـدْ * وآلكَ يا المُطهَّر والصِّحاب[2]**

ولعلَّ المطّلع على ديوان شعر "محمد بن المبروك البودوي التواتي" سيكتشف أنّه قد برع في نظم الشعر الملحون كما برع في نظم الشعر الفصيح ، وإن كانت طريقة النظم في الأول قد تغيرت في مجال المديح النبوي، إذ لاحظنا أنّ الشاعر تخلّى عن مقدماته الغزلية وأصبح يستهلُّ قصائده المدحية بالوعظ المباشر أو بالوقوف المباشر في حضرة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ، يعدّد صفاته ويمجّده ويسرد سيرته ويعرّف بآله وصحابته ، كما يعبر الشاعر كذلك عن حبه للنبي الأكرم عليه الصلاة والسلام وعن شدّة شوقه لزيارته...الخ، وفي هذا دلالة على تنوع مواضيع وصور المديح النبوي لدى الشاعر ، ومن ذلك قوله في قصيدة (مدح النبي اعزيز عليَّ) التي عبّر فيها عن شدّة معزّة مدح النبي صلّى الله عليه وسلّم في قلبه، إذ يقول:

مدحَ النّبي اعْزِيزْ عليَّ * مازَلْت نقُولُو وَانوَرَّدْ**
لُو طَاعنِي لْسَانِي يَقْطَع * عَمْرِي ايْزُول في تَمْجَادُو**
معنَاه مَنْ اكْنَانِي يَطْلَعْ * يَعْجَبْ اللِّي ايْظَلْ ايْعِيدُو**

[1]: المرجع نفسه ، ص 63.
[2]: المرجع نفسه ، ص 64.

وَاجمِيعْ مَنْ اصْغَا لُو وَاسْمَعْ * يَطْرَقْ مَنْ العِلْمْ ايْفِيدُو**[1]

كما يعمد الشاعر في القصائد الملحونة في مدحه للرسول عليه الصلاة والسلام إلى التعريف بنسبه وسيرته ، فهو يرى ذلك أمراً واجباً ، كما ورد في قصيدة (احْفَظ اجْدُودْ الرّسُولْ)، فيقول:

احفِيْظْ اجدُودْ الرّسول وَاجَبْ يا الاسْلامْ * واعْلِينا كَاملينْ عَشرين وَحَّدْ**
لو تَذْكَرْ مَدْح التهَامي كُلّ اكْلامْ * يَبْقَ مَنْ حَولُو اتْوَجَّدْ**[2]

إلى قوله:

امْنِينْ وَلْدَتْ النّبي بُو فَاطِيمَه * عَبد الله ماتْ بُوه خَلّاها حَاملُ**
ثُوبِيَة رَضّعَتُ واثْنَاتْ احْلِيمــه * وامِيمه حَضَنْتُ بُو طَالَب كَفْلُ...**[3]

وبعد جولة تعريفية قصيرة بجدوده صلّى الله عليه وسلّم ، يقوم الشاعر في ختام قصيدته بوضع عنوانه الخاص ، فيدلّنا على اسمه مفتخراً بذلك كونه يشابه النبي صلّى الله عليه وسلّم في الإسم ،إذ يقول:

يَسْعَد اللّي ايْعُودْ لِيْهَـا مَتْجَـرَّد * وَاسْعَدْ بَاسمِي مَنْ اسْمَكْ يا محمّدْ**
سَمَّاني بِيه وَالدِي دَاكْ المَبرُوك * رَانِي في مِلتَكْ نَمْدَحْ وَانْعَاوَدْ**[4]

ويتجلى هذا كذلك في قصيدة (لا تورّدنِي شُورْ النّار) ، إذ جمع الشاعر في خاتمة أبياتها بين أمرين هما: التعريف بنفسه ، إضافة إلى طلب الشفاعة والغفران متوسّلاً بجاه المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ، إذ يقول:

جاكْ محمّد مَتوسَّلْ * بنْ المبْرُوك البُدَوي**
بالنّبي يا ربِّي كمَّلْ * اعْلِيهْ بَاللّي هُوَ**
اعْدَوّوا جَا يتْخَتَّل علِيه * وابْلِيْس اللّي غَاوِي**
خَذْلُوا مَنْ ظَلَمُوا بَالنّار يااالغفَّار* لا تْخيَّبْ لُو تُوسَالَكْ**

---

[1]: محمد بن المبروك البودوي التواتي ، الديوان ، تحقيق: عاشور سرقمة ، مرجع سابق ، ص 103.
[2]: المرجع نفسه ، ص 131.
[3]: المرجع نفسه ، ص 131.
[4]: المرجع نفسه ، ص 134.

رَاهْ مَسْتَحْرَم بَالمُختَار يَاالغفّار * كَمَّل الطَّلَبَه بَاكمَالكْ**

لِيْه وَالحَافَظْ ذِيْ لَشْعَار يَاالغفّار * وَالسّامَع أَو مَنْ جَا سَالَكْ[1]**

ولعلَّ من أجود ما جادت به قريحة الشاعر " محمد بن المبروك البودوي" في المديح النبوي في الشعر الملحون، قصيدة الرائعة (جاتْنَا مَنْ عَنْدَك لَفْراح يا المصْبَاحْ) ، التي مطلعها قوله:

جَاتْنَا مَنْ عندك لفرَاحْ يا المصباح * طَهَ التّاج المدَانِي[2]**

وقد اعتمد فيها الشاعر أسلوب الخطاب المباشر، إذ أنَّ القارئ للأبيات يشعر بأنّ "محمد بن مبروك البودوي" يلقي قصيدته المدحية وهو جالساً في حضرة المصطفى صلَّى الله عليه وسلّم ، يمدحه ويمجّدهُ ويعدّد شمائله ومواقفه، إذ يقول:

يا المُدثِّر في حُلَّه * كُنت تعبَدْ ربَّك في غار**
جاك جبرِيل ولِيْكْ تلَىْ * اِقرَأْ بِاسْمْ مْنَ الأَسْوَارْ**
عندْ خديجَة لِيْك ولَّى * عَادْ قَلْبَك يَرْجَفْ فَالدَّار[3]**

وفي غير موضِعٍ من القصيدة يعبّر الشاعر عن علُوِ قدر ومحبة النبي صلى الله عليه وسلّم في قلب الشاعر، ومن ذلك قوله:

مَا على مَنْ تَبْعَك جُنَاح يا المصباح * رَاك في نهج الغفراني**
صاحب التاج المَدَنِي
رَاك لِينـَا فـَرْطٌ حَقـِيق * خِير مَنْ بُو وَامْ حْنِينَه**
خيْر مَنْ خُو صالح واشْقِيقْ * خِيْر مَنْ وَلْدْ اصْلَحْ بِنَا**
خِيْر مَنْ صاحَبْ صِدْق الِيْقْ * كُل مَا فِي كَسْبُو لِينَا**
خِيْر مَنْ زُوجَة منْ الاملاحْ يا المصباح * خِيْر من زَرعِي واجْنَانِي[1]**

---

[1]: المرجع نفسه ، ص 120/119.
[2]: المرجع نفسه ، ص 155.
[3]: المرجع نفسه ، ص 155.

ولاشَكَّ أنّ مَنْ يحظى فينا بجلسة في حضرة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم سيسارع لطلب الشفاعة والدعوات والبركات منه عليه الصلاة والسلام، وذاك ما عمد إليه الشّاعر في قصيدته المدحية حيث قال شاكِياً ذنبهُ:

يَا المزمّل المكّي * سَيِّدْ مَنْ قال أنا نَبِي**
جِيتْ لَكْ مَنْ ذَنبِي نَشْكِي * رَاهْ (مَابَا)[2] يَفْرَقْ ذا بِي**
شَافْ شِيبِي وَابْغَا حَكِّي * بَعْدْ نَدّ طَفْحْ اشْبَابِي**
قَلْتْ لُو يا هَذَا الصَّلَاح يا المصباح * سِيْر عَنِّي رَانِي جَانِي**
قَال لِي مُولانا سمَّاح يا المصباح * قُلْتُ لُو غَرَّك اجْنانِي**
صَاحبْ التَّاج المَدَنِي[3]

ولأنَّ الشاعر ينتظر رحلته للدار الآخرة على اعتبار يقينه بأنّ الموت حقٌ ، وكونه كبير في السِّن، فإنّه يطلب نُصحَ وشفاعة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم علّه ينجى بها في ذاك اليوم الموعود، فيقول[4]:

شَابْ شَيبِي فيه اتْبَيَّنْ * طَابْ زَرعي والجَسد ارْشَى**
آحْ مَنْ قُدَّمِي آح يَا المصباح * يَوْمْ نَتْغَمّدْ فَاكْفَانِي**
مَالِي غِيرْ انْتَنَ صَّاح يا المصبَاح * غِيْتنِي عَنْدَك وَامَّانِي**
غِيتنِي عَنْد (البرَقْلِيطْ)[5] * التُّهامِي جَدّ الشُّرْفَا**
مَنْ يَشْفَع فِي يَومْ اشْطِيطْ * رَاهَمْ كَنُّو لَيْسَ يَخْفَى**
مَا يْفرَّط فِينَا تَفرِيط * مَا ايْخَلِّي لِينَا كُلْفَه**
عَارنَا رَاهْ غْلِيك الْتَاحْ يا المصباح * بْثِيثْ انَّكْ ما تَنْسَانِي**

---

[1]: محمد بن المبروك البودوي التواتي ، الديوان ، تحقيق: عاشور سرقمة ، مرجع سابق ، ص 156.

[2]: مابَا : أي لم يُرِدْ

[3]: المرجع نفسه ، ص 156.

[4]: المرجع نفسه ، 158.

[5]: البَرَقْلِيطْ : تعني لقب للرسول، نقلاً عن المرجع نفسه.ص 158.

ويختم الشاعر "محمد بن المبروك البودوي" وقفته في حضرة النبي صلّى الله عليه وسلّم بالصلاة والسلام عليه ، وهذا أسلوب قد اعتمده في كل قصائده، ليؤكّد على أهمية وفضل الصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما أنّه يشير كذلك إلى شدّة اهتمامه بالنظم في المديح النبوي وبالترويج له بين النّاس، فيقول مدلّلاً على ذلك في ختام قصيدته:

الصّلاة والسّلام اعْلِيك * رَحمَةَ الله والبركه**
يا خْيَارْ الرُّسْلِ المَلِيك * في اسْكُونَكْ وَالحَرَكَه**
ءايَة الفَضْل اعْطَاهَا لِيْكْ * مَا يْطَمْعُوها شُرَكَا**
رَاهْ فِكْرِي بْـَمْدِيحَك بَاح يا المَصبَاح * بَلّغُو قَلْبِي لَلْسَانِي**
نَنْسَخْ في (كَاغَطْ)[1] وَلَواحْ يا المصباحْ * بِه مَا نَبْخَل مَنْ جَانِي**
عِيبْ لو قَالوا هذَا جَاح يا المصباحْ * دِيْرنِي جَارَكْ وَارْعَانِي**
فيضْ فَضلَكْ يَمْلِي لَجْبَاحْ يا المصباحْ * لا تْخَلِّي جَبْحِي فانِي**
صاحب التّاج المَدَنِي[2].

بناءً على ما سبق ذكره وبعد هذه الجولة البحثية القصيرة في موضوع المديح النبوي في شعر" سيدي محمد بن المبروك البودوي"، نخلص للآتي:

* إنّ الشيخ "سيدي محمد بن المبروك البودوي" بما امتلكه من مؤهلات معرفية ومواصفات أخلاقية راقية استطاع أن يخلّد ذكره إلى يومنا هذا، ولا أدلّ على هذا من تلك الأشعار التي نظمها وهي الآن تسري على ألسنة العامة والخاصة، ويتغنّى بها الجميع ،نذكر منها قوله:

الله الله يا الدّايَمْ * يَا عَالَمْ كُلْ عِلْمْ شُوفْ**
مَا دَا وَاسِيْتْ مَنْجرَايَمْ * تَغْفَرْ ذَنْبِيْ بْلَا كلُوفْ[3]**

وقوله:

---

[1]: كَاغَط: أي ورقة

[2]: محمد بن المبروك البودوي التواتي ، الديوان ، تحقيق: عاشور سرقمة ، مرجع سابق ، ص 160/159.

[3]: المرجع نفسه ، ص 142.

الله اقْبَلْ مَنْ جَاكْ * يَا مُولَايْ عَبْد المَالِكْ**
الله اقْبَلْ مَنْ جَاكْ * يَا وَلِيَّ الله مَالِكْ[1]**

* يعتبر الشاعر"محمد بن المبروك البودوي" من المهتمين بشكل كبير بالنّظم في شعر المديح النبوي،ولا أدلَّ على ذلك من كثرة قصائده المدحية.

* لقد تعددت صور النظم عند الشاعر"سيدي محمد بن المبروك البودوي" وتنوعت بين الشوق والمحبة للحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وبين التعريف بسيرته ومواقفه وعظمة شخصه صلّى الله عليه وسلّم، ولقد عبّر الشاعر "محمد بن المبروك البودوي" عن كلّ ذلك بأساليب أدبية وفنية راقية ، من ناحية توظيف الألفاظ والمعاني والبيان والبديع ، سواءً في الشّعر الفصيح أو الملحون.

* لقد جمع الشاعر في نظمه لشعر المديح بين منهج من سبقوه ومن عاصروه .كما اتخذ لنفسه– على غرار ذلك– منهجاً خاصاً في الكتابة تفرّد به عن غيره.

* إنَّ القارئ لقصائد الشاعر يلاحظ أنَّ مضامين قصائده المدحية– على غرار أسلوب نظمها البديع– تدلّل على سعة اطلاع الشاعر وموسوعيته وتفقهه في أمور الدين والسيرة النبوية ، وهذا ما يجعل القارئ لها ، يقبل عليها إقبالاً ، وفي هذا دلالة كافية على جودة النظم في شعر المديح النبوي في عصره ، ولا عجب في ذلك، فالشاعر من شعراء القرن (11هـ) ، أي شعراء العصر الذهبي للحركة الأدبية في منطقة توات.

ولعلَّ خير ما نُوصِي به في ختام قولنا ، هو ضرورة توجيه الأبحاث الأكاديمية لدراسة القصائد المدحية للشّاعر بصفة خاصة ودراسة شعره بصفة عامة ،فالشّاعر بحق يكتب بعُمق، وله أسلُوبُه المتفرّد في نظم الشّعر

[1]: المرجع نفسه ، ص 121.

قائمة المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم**

1- البنية اللغوية في شعر محمد بن المبروك البودوي التواتي، مذكرة لنيل درجة الماجستير في تخصص الدراسات اللغوية ، إعداد: بشير بهادي ، إشراف: د.محمد رتيمة ، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2014م/2015م .

2- التعبير الشعري في المديح النبوي عند العطار النيسابوري،(إضاءات نقدية) ،عبد الحميد أحمدي، مجلة علمية فصلية محكمة، العدد12، 2012م.

3- الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن 7هـ حتى نهاية القرن 13 هـ ، أحمد أبا الصافي جعفري ، منشورات الحضارة ، ط1.

4- الديوان ، للإمام البوصيري رحمة الله عليه .

5- الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات ، الشيخ محمد باي بلعالم ، 2005م، ج1 .

6- الشعر الِّديني الجزائري الحديث ، عبد الله الركيبي ، الشعر الصوفي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، الجزائر ، د.ط ، 2009 م ، ج 1.

7- الشعر الشعبي الديني في منطقة توات ، د.سرقمة عاشور ، دار الغرب ، وهران ، 2008م

8- المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي ، محمود سالم محمد ، دار الفكر ، دمشق ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط1 ، 1417 هـ - 1996 م.

9- المدائح النبوية في الأدب العربي ، زكي مبارك ، منشوارت المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ط1 ، 1354 هـ - 1935 م.

10- المستطرف في كل فنُ مستظرفٍ ، شهاب الدين محمد بن أحمد الإبشيهي ، تحقيق : إبراهيم صالح ، دار صادر، بيروت ، ط1 ، 1420 هـ - 1999 م ، ج2.

11- المدائح النبوية ، محمود سالم .
12- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية،مصر، ط4، 1425هـ - 2004م،مادة (م.د.ح).
13- تاريخ الجزائر الثقافي ، أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1998، ج2.
14- توات والأزواد، محمد الصالح حوتية ، دار الكتاب العربي ، القبة ، الجزائر ، 2007م ، ج1.
15- ديوان سيدي محمد بن المبروك البُودَوي التواتي، جمع وتحقيق:د.سرقمة عاشور، دار الغرب للنشر والتوزيع.
16- شعر المديح النبوي في الأدب العربي ، جميل حمداوي ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 ، 1428 هـ - 2007 م .
17- لسان العرب، ابن منظور ، دار صادر ،دط، دت، مادة(م. د. ح) ج02.